عميد المترجمين : حنين بن إسحق

دكتور علي عبد الله الدفاع

هو حنين بن اسحق العبادى، وكنيته أبو زيد، ولد ببغداد، ونشأ بالشام وتعلم بها. ويقول ظهر الدين البيهقى فى كتابه (تاريخ حكماء الاسلام): «كان حنين بن اسحق المترجم أول من فسر اللغة اليونانية، ونقلها الى السريانية والعربية. وكان حنين فى عهد المأمون والمعتصم، وكان بغدادى المولد، وقد نشأ بالشام وتعلم بها». عاش حنين بن اسحق فيما بين سنتى ١٩٤ - ٢٦٥ هجرية (٨٠٩ - ٨٧٤ ميلادية). كان والده مشهورا ببيع العقاقير الطبية. وسمى العبادى نسبة الى العباد(١) وتعلم اللغة العربية على أشهر عالم فى اللغة العربية الخليل بن أحمد الفراهيدى.(٢) يقول عبد المنعم ماجد فى كتابه (تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى):

«ولد حنين بن اسحق فى الحيرة ودرس الطب فى مدرسة جنديسابور، وارتحل الى بلاد الروم، وتعلم اللسان اليونانى، ثم رجع الى العراق فى عهد المأمون، فترجم خمسة وتسعين كتابا للسريانية وتسعة وثلاثين كتابا للعربية، فضلا عن تآليفه العديدة فى الطب». أما ابن النديم فيمتدح حنين بن اسحق فى كتابه (الفهرست) قائلا ان: «حنين بن اسحق العبادى، ويكنى أبا زيد، كان فاضلا فى صناعة الطب فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية. دار البلاد فى جمع الكتب، ودخل بلد الروم وأكثر نقله لبنى موسى».

لقد زاول حنين بن اسحق مهنة الترجمة كوظيفة يعتمد عليها فى طلب عيشه، لذا أغدق عليه المأمون المال مقابل ترجمته، وجعله رئيسا على المترجمين فى عهده. يقول مصطفى الشكعة فى كتابه (معالم الحضارة الاسلامية) «كان حنين بن اسحق متمكنا من الفارسية واليونانية الى جانب تمكنه من العربية، كما كان فصيحا شاعرا، فلا غرابة إذن أن يجعله المأمون رئيسا لديوان الترجمة ويغدق عليه الأموال، وقيل ان المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ماينقله الى العربية، ولذلك كان يعمد الى كتابة مايترجمه على ورق غليظ بخط كبير مع افساح مابين الحروف حتى يحصل على أكبر قدر ممكن من المال عن كل كتاب مترجم». أما محمد عبد الرحمن مرحبا فيقول فى كتابه (الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب): «حنين بن اسحق من أعظم النقلة وأكثرهم شهرة. كان مسيحيا نسطوريا من مدرسة جنديسابور... كان المأمون يعطيه زنة الكتاب الذى يترجمه ذهبا. لذلك كان

حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة وأسطر متفرقة على ورق غليظ جدا لتعظيم حجم الكتاب وتكبير وزنه.. وترجم كتابا لأرسطو وأقليدس وأرخميدس وأوتوليقوس وأبسقلاوس ومنلاوس وجالينوس، وأصلح ترجمة الحجاج للمجسطى. وأغلب مترجمى الجيل الثانى تلقوا تدريبهم عليه أو على تلاميذه، حتى يمكن القول بأنه رائد حركة الترجمة العلمية الدقيقة».

عظم شأن اعداء حنين بن اسحق، فحسدوه على تفوقه فى الترجمة وتفننه فى مهنة علم الطب، ويقول خصومه انه من النقلة وليس من أصحاب الاكتشافات العلمية. يقول عمر فروخ فى كتابه (تاريخ الفكر العرىى – الى أيام ابن خلدون): «وكثر حسد الناس لحنين فكان خصومه فى صناعة الطب يقولون: مالحنين والطب، انما هو ناقل لهذه الكتب ليأخذ عليها الأجر كما يأخذ الصناع الأجرة على صناعتهم، ولافرق بينه وبينهم. وانه كالقين يصنع السيف ولايستطيع أن يضرب به، فما له ولصناعة الطب وهو لم يحكم النظر فى عللها وأمراضها، وأنما قصده التشبه بنا ليقال: حنين المتطبب لا حنين الناقل».

يروى لنا أحمد شوكت الشطى قصة شيقة عن حنين بن اسحق فى كتابه (تاريخ الطب وآدابه وأعلامه) فيقول: «كان حنين بن اسحق متعطشا للعلم قرأ على يوحنا بن ماسويه(١) وكان حنين صاحب سؤال ومن أبناء الصيارفه، فسأل يوحنا فى بعض الأيام عن بعض ماكان يقرأه عليه فرد يوحنا وقال: ما لأهل الحيرة والطب، عليك ببيع الفلوس فى الطريق فخرج من دار يوحنا باكيا مكروبا، لم تؤثر فيه هذه الصدمة بل شجعته، اذ قرر أن يتنكر ويتغيب سنين، يتعلم خلالها اللغة اليونانية استعدادا لدرس الطب، بعد اتقانه تلك اللغة، اذ كان يرغب أن يثبت لماسويه خطأ قوله ويبين له أن العبادى العرىى يستطيع أن يتعلم الطب ثم عاد فلازم جبريل بن بختيشوع وترجم له عدة كتب فأصلح بينه وبين يوحنا فتتلمذ على يوحنا بن ماسويه للمرة الثانية وأشتغل بصناعة الطب ونقل له كتبا كثيرة وخصوصا من كتب جالينوس، بعضها الى اللغة السريانية وبعضها الى اللغة العربية».

لم يكن حنين بن اسحق مجرد مترجم لكتب الطب، بل كان كذلك طبيبا حاذقا رغم مايقول اعداؤه. كان مرض الرمد منتشرا آنذاك يعانى كثير من الناس منه الأمرين. فكتب حنين كتابا يحتوى على عشر مقالات عن العين وطريقة علاج مرض الرمد. يقول توفيق الطويل فى كتابه (العرب والعلم فى عصر الاسلام الذهبى ودراسات علمية أخرى): «أما فى علم الرمد فإن حنين بن اسحق كان أول من طبع العربية بطابع الأسلوب العلمى،

وكان كتابه (العشر مقالات فى العين) أول كتاب موجود اصطنع فى طب العيون منهجا علميا، وزود برسوم شائقة هى أول وأدق رسوم عرفت فى تشريح العين». أما رام لاندو فيذكر فى كتابه (الاسلام والعرب): «أن حنين بن اسحق أول مترجم للمصنفات الطبية الاغريقية، وبخاصة مؤلفات جالينوس وأبقراط. كما وضع حنين بن اسحق كتبا فى الطب ذات اصالة توحى بخبرته فى هذا المضمار، فهو طبيب من الطراز الممتاز»..

أهتم حنين بن اسحق بطب الاسنان، فبدأ بجمعه من شذرات ورثها من علماء بابل والمصريين واليونانيين والهنود والفرس والروم. والجدير ذكره هنا أن طب الاسنان لم يكن حينذاك فرعا مستقلا بذاته. ولكن حنينا أفرد لهذا الموضوع كتابا تحت عنوان (حفظ الأسنان واستصلاحها) نرفق صفحة من هذا المخطوط المحفوظ فى دار الكتب الظاهرية بدمشق كنموذج. وقد خصص بعد ذلك أبو بكر الرازى الذى يعتبر طبيب الأسنان العربى المسلم فصولا لطب الأسنان فى كتابه «الحاوى». ويظهر جليا الآن أن أطباء العرب والمسلمين لم يهملوا هذا الحقل ولكن لم يعطوه العناية التى أعطوها للحقول الأخرى مثل طب العيون والجراحة والقلب والباطنية والنساء والأطفال.

خلف حنين بن اسحق ولدين هما داود واسحق، اهتم داود بن حنين بمهنة الطب، فاشتهر فيها، أما اسحق بن حنين فقد خلف والده فى فن الترجمة والتأليف، وتفوق عليه فى حقلى الهندسة والنبات. يقول أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل فى كتابه (طبقات الأطباء والحكماء): «وأنجب حنين بن اسحق ولدين داود واسحق. فأما اسحق، فخلفه على الترجمة، وتولاها فأتقنها، وأحسن فيها، وكانت نفسه أميل الى الفلسفة. وقد ترجم كتاب النفس للفيلسوف أرسطو طاليس فى سبع مقالات وجده بتفسير شامسطيوس. وأما داود فانه كان طبيبا». وأضاف محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتابه (الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب) قائلا أن: «ابنه اسحق بن حنين نقل كتاب الأصول لإقليدس. كما نقل أيضا كتاب الكرة والأسطوانة لأرخميدس وكتاب الأشكال الكرية لمنالاوس وكتاب أرسطو طاليس فى النبات».

عرف المأمون حنين بن اسحق عن طريق طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع(١) فعهد اليه بنقل الكثير من الكتب الى اللغة العربية فى شتى فروع المعرفة وهو مازال فى سن العشرين. كان حنين بن اسحق من أحسن من يجيد الترجمة فى ذلك الوقت، واستعان فى ذلك بالكثير من علماء العرب والمسلمين الذين كان يشرف بنفسه على ماترجموه، يقول

جلال مظهر فى كتابه (حضارة الاسلام واثرها فى الترقى العلمى): «ان المأمون أحضر من المترجمين حنين بن اسحق، وكان فتى السن، وأمره بنقل مايقدر عليه من كتب اليونانيين الى العربية، واصلاح ماينقله غيره، فأمتثل حنين أمره. وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ماينقله من الكتب الى العربية مثلا بمثل. وكان نقل حنين أمينا وأسلوبه بليغا».

لقد اتخذ حنين بن اسحق مهنة الترجمة مصدراً لدخله، لذا نجد أنه نال شهرة عظيمة فى هذا الحقل. ومما لايقبل الجدل أن حنين بن اسحق خدم الحضارة العربية والاسلامية بتفرغه لترجمة العلوم المختلفة. كان لحنين بن اسحق منهج دقيق فى الترجمة يتلخص فيما يلى:

(١) يجمع عدة مخطوطات للكتاب الذى يريد ترجمته، يوازن بينها، ثم يشرع فى الترجمة.

(٢) يتعاون فى ترجمته مع كثير من المساعدين، لذا نجد أن ترجمته تمتاز بدقتها المتناهية وصحتها من الناحية اللغوية.

(٣) سيطر على موضوع الترجمة وفنها بعد خبرته الطويلة الناتجة عن مراجعته لترجمات الآخرين والتعديلات التى كان يدخلها عليها.

(٤) لم يتقيد بالنص، بل يحافظ على المعنى، لذا نجد أن ترجماته تمتاز بالبساطة والسلاسة.

يقول ماكس مايرهوف فى كتاب (تراث الاسلام) تأليف جمهرة من المستشرقين: «كذلك مازالت توجد لحنين بن اسحق ترجمات كثيرة مخطوطة فى مكتبات عديدة كالقسطنطينية، هذه المخطوطات تكشف عن حرية فى تصريف الترجمة ومقدرة عجيبة للمترجم فى اللغة العربية، أما أسلوبها فسهل المتناول خال من التعقيد اذا ماقورن بأصله اليونانى الركيك».

قدم حنين بن اسحق معظم انتاجه فى مجال ترجمة كتب الطب وتأليفها أيام المأمون، لأن المعتصم لم يكن له اهتمام المأمون وتحمسه لترجمة المؤلفات العلمية الى اللغة العربية. وأعاد المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١ ميلادية) دور بيت الحكمة الذى كان مزدهرا فى عصر الخليفة المأمون.

فأستأنف حنين بن اسحق نشاطه فى الترجمة والتأليف ليس فى حقل الطب فقط، بل فى معظم فروع المعرفة، مستعينا بنخبة من كبار علماء العرب والمسلمين. بالاضافة الى ابنه اسحق بن حنين وابن اخته حبيش بن الأعسم.(١) وخدم حنين ابن اسحق ورفاقه مهنة الطب عمرا طويلا، احتوى أيام المنتصر بالله، والمستعين بالله، والمعتز بالله، والمهتدى بالله، والمعتمد على الله. يذكر لوي برنارد فى كتابه (العرب فى التاريخ) أن: «آل حنين انشأوا بترجمتهم لكثير من العلوم صرحا شامخا للحضارة العربية والاسلامية فى كافة المجالات من علوم بحتة وتطبيقية وانسانية. وحقيقة الأمر أن ترجمتهم تكاد تكون ملخصات لكتب اليونان والسريان والكلدان وغيرهم».

ومن مناقب خلفاء وأمراء العرب التى يجدر بنا أن نذكرها هنا هو تسابقهم على أجتذاب علماء العلوم، كما كانوا يهيئون لهم أفضل الظروف وأحسنها للبحث العلمى والترجمة والتأليف. واستفاد كثير من علماء العرب والمسلمين من هذا التشجيع الرسمى من أعلى مسؤول فى الدولة فأقنعوا ولاة الأمر بفتح المدارس والجامعات والمكتبات، مما عاد بالنفع على الأمة الاسلامية جمعاء. ويقول عز الدين فراج فى كتابه (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية) بقوله: «كان من أعظم مفاخر الخلفاء والأمراء أن يضم بلاطهم أهل العلم ورجالات الفكر، وأن يغدقوا عليهم فى سخاء. ومن دلالات هذه الظاهرة أن كان حنين بن اسحق شيخ المترجمين – يتقاضى من المأمون وزن الكتب التى يترجمها ذهبا، وكان – من فرط جشعه – يكتب على ورق سميك ثقيل الوزن، ويكبر الحروف ويوسع مابين الأسطر حتى تعظم مكافأته من الذهب. ومن ذلك أن السلطان مسعود الغزنوى قد أرسل الى البيرونى ثلاثة جمال تنوء بأحمالها من الفضه، مكافأة له على كتابه (القانون المسعودى) وان كان البيرونى قد رد الهدية الى صاحبها معتذرا عن قبولها بقوله (انما يخدم العلم للعلم وليس للمال)».

وهنا نرى الفرق الواسع بين عالم وعالم: عالم يجرى وراء المال كحنين بن اسحق، وآخر يخدم العلم للعلم كالبيرونى.

ولم يكن حنين بن اسحق متقنا للغتين العربية واليونانية فقط، بل كان يجيد كذلك اللغتين السريانية والفارسية. كان أديبا بارعا يقرض الشعر، وله قصائد تفيض بمعانيها. يقول عمر رضا كحاله فى كتابه (العلوم العملية فى العصور الوسطى): «ومن الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى الى اللسان العربى حنين بن اسحق العبادى. وكان

بارعا باللغات الأربع العربية والسريانية واليونانية والفارسية، ونقله فى غاية من الجودة. وكان حنين بن اسحق فصيحا لسنا بارعا شاعرا، وأقام مدة فى البصرة، وكان شيخه فى العربية الخليل بن أحمد الفراهيدى، ثم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب».

كان حنين حجة عصره فى فن الترجمة، حتى أن كثيرا من معاصريه تهافتوا على الأشتراك معه ليذيع صيتهم. وهناك صنف آخر من المترجمين الذين نسبوا انتاجهم اليه ليتمكنوا من ترويج انتاجهم. يقول جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى فى كتابه (تاريخ الحكماء): «وكان حنين بن اسحق جليلا فى ترجمته، وهو الذى أوضح معانى كتب بقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص وكشف ما أستغلق منها وله مؤلفات نافعة» أما عمر فروخ فيحاول فى كتابه (تاريخ العلوم عند العرب) أن يمتدح حنين بن اسحق بقوله: «لحنين كتب متنوعة بعضها نقل عن اليونانية وبعضها اصلاح لنقول سابقة، وأكثر كتبه على طريقة المسألة والجواب». ويقول نور حسين شودرى فى مقالة ألقاها فى المؤتمر العالمى الأول عن الطب الاسلامى الذى عقد فى دولة الكويت تحت عنوان «أثر العلوم الاسلامية فى تطور الطب»:

«وقد بلغ تفوق الصنعة عند حنين مبلغا من الامتياز جعل الكثير من المترجمين الأقل شأنا ينسبون انتاجهم لهذا المعلم العظيم. وقد أدت مؤلفاته الشهيرة فى الطب الى اكتشافات عديدة، كما أن الأوربيين قد استفادوا الكثير من ترجماته فيما بعد. وكان أشهر مؤلفاته العظيمة فى أوساط العرب والفرس هو كتاب (اسئلة فى الطب) وكذلك الكتاب الضخم «عشرة مقالات فى العين» الذى يعد أقدم بحث منهجى معروف فى طب العيون».

وقبل تقديم قائمة الكتب التى ترجمها أو ألفها حنين بن اسحق نورد هنا ماذكره جمهرة من المؤلفين فى كتاب (الموجز فى تاريخ الطب عند العرب) بقولهم: «فقد ترجم حنين بن اسحق الى السريانية خمسة وتسعين كتابا، وترجم الى العربية منها تسعة وثلاثين، وكان يراجع ترجمة تلاميذه، فأصلح ستة كتب مما نقل الى السريانية ونحو سبعين كتابا الى العربية، كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كان قد ترجمها الى السريانية بعض الأطباء الأقدمين، كما نقل عددا من كتب أبقراط مثل كتاب (الفصول) مع تفسير جالينوس عليه والمترجم الى السريانية والعربية، وكتاب (الكسر) وكتاب (الخلع) وتقدم المعرفة وتدبير الأمراض الحادة، (وكتاب فى القروح) وكتاب جراحات الرأس، وكتاب الأبيديما، وكتاب الأمراض الوافدة، وكتاب فى الأخلاط، وكتاب (الأهوية والمياه والبلدان)،

وكتاب الغذاء، وكتاب طبيعة الانسان، وكتاب (الكنانيش لأوروبياسيوس)، وكتاب (الى أونابيوس)، وكتاب (البسبع المقالات)، والمادة الطبيعية لديسقوريدس، وكلها كتب ضخمة، وذلك بالاضافة الى الكتب الفلسفية لأرسطو وأفلاطون».

وقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى كتابه (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) كثيرا من التفاصيل عن الكتب التى ترجمها أو ألفها حنين بن اسحق ونخص على سبيل المثال كتاب العشر مقالات فى العين الذى يحتوى على الآتى:

المقالة الأولى عن طبيعة العين وتركيبها.
المقالة الثانية عن طبيعة الدماغ ومنافعه.
المقالة الثالثة عن عصب البصر.
المقالة الرابعة عن حفظ الصحة واختلافها.
المقالة الخامسة عن أسباب الأعراض الكائنة فى العين.
المقالة السادسة عن علامات أمراض العين.
المقالة السابعة عن الأدوية العامة.
المقالة الثامنة عن أجناس أدوية العين.
المقالة التاسعة عن مداواة أمراض العين.
المقالة العاشرة عن الأدوية المركبة الموافقة لعلل العين.

ولنذكر الآن الكتب التى ترجمها وألفها حنين بن اسحق، وهى تزيد على مائة كتاب، وقد وردت أسماؤها فى معظم الكتب التى تحدثت عن مؤلفات حنين بن اسحق، وأهم هذه الكتب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لأبن أبى أصيبعة. وهى:

(١) كتاب المسائل فى الطب.
(٢) كتاب فى العين على طريقة السؤال والجواب.
(٣) كتاب فى تركيب العين.
(٤) كتاب فى الأدوية المفردة (اختصار لكتاب جالينوس).
(٥) كتاب فى النحو.
(٦) كتاب فى ادراك حقيقة الأديان.
(٧) كتاب العشر مقالات فى العين.

(٨) رسالة نقدية فى الترجمة.
(٩) كتاب فى الرمد.
(١٠) كتاب الترياق.
(١١) كتاب فى أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا.
(١٢) كتاب فى النبض.
(١٣) كتاب فى الحميات.
(١٤) كتاب فى أوجاع المعدة.
(١٥) شرح الاسكندر الأفروديسى على كتاب الطبيعة لأرسطو.
(١٦) جوامع كلام أرسطو فى الآثار العلوية.
(١٧) كتاب أصول الهندسة لأقليدس.
(١٨) كتاب المناظر (البصريات) لأقليدس.
(١٩) كتاب قطوع المخروط لمنالاوس.
(٢٠) كتاب قطع المخروط لأبولونيوس.
(٢١) كتاب قطوع المخروط لثيودوسيوس.
(٢٢) شرح كتاب الغذاء لأبقراط.
(٢٣) مقالة فى تدبير الناقهين.
(٢٤) كتاب فى المنطق.
(٢٥) كتاب حفظ الأسنان.
(٢٦) جوامع كتاب جالينوس فى الذبول.
(٢٧) كتاب السماء والعالم.
(٢٨) كتاب فيما يقرأ قبل كتب افلاطون.
(٢٩) كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء.
(٣٠) كتاب قاطيغورياس.
(٣١) مقالة فى اعتذاره لجالينوس.
(٣٢) جوامع كتاب جالينوس.
(٣٣) جوامع كتاب جالينوس فى الحث على تعلم الطب.
(٣٤) ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط.
(٣٥) شرح كتاب الهواء والماء والمساكن لأبقراط.
(٣٦) كتاب فى امتحان الأطباء.
(٣٧) مقالة فى المد والجزر.

(٣٨) كتاب فى أسرار الأدوية المركبة.
(٣٩) تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس.
(٤٠) مقالة فى تولد الحصاة.

وفى الختام يمكن القول بأن علماء العرب والمسلمين وعلى رأسهم حنين بن اسحق ترجموا كل انتاج علماء اليونان، الذين هم بدورهم استقوا بعضه من الحضارات السابقة لهم. وقد ركز حنين بن اسحق ورفاقه فى بادىء الأمر على ترجمة العلوم الطبية والرياضية والفلكية والزراعية لكل من أبولونيوس، واقليدس، وأرخميدس، وتيودوسيوس، ومنالاوس، ونيقوماخس، وهارون، وديوفنطوس، وهيبرخوس، وأريسترخس، وبطليموس، وأبوقراط، وثاون، وديسقوريدس، وجالينوس، ورفوس، والأفسسى، وبولس الأيجينتى، وأورباسيوس.

والجدير بالذكر أن علماء العرب والمسلمين لم يكتفوا بنقل علوم اليونان الى العربية، بل نقلوا كذلك كثيرا من انتاج الهنود والفرس وغيرهم من الأمم. كما أن خلفاء بنى أمية شجعوا المدارس السريانية المنتشرة فى العراق والشام التى كانت موجودة قبل الفتح الاسلامى وتركوها تسير على منهجها العلمى التى اختارته لنفسها. وقد حصل المسيحيون واليهود على حرية فى الفكر لم يكونوا متمتعين بها تحت الحكم البيزنطى، الكثير منهم وزراء وأطباء وأصحاب صناعات. ومع هذا كله نجد أن علماء النصارى لم يقبلوا على ترجمة تراث اليونان من تلقاء أنفسهم، بل لقد كانوا فى أكثر الأحيان يعملون بأمر الخليفة، الذى كان يشجعهم على عملهم بالمال الكثير. ويؤكد ذلك قول محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتابه (الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب): «وعلى الجملة لم يبتكر السريان شيئا من عند أنفسهم، وكل ماذكروه فهو مأخوذ من الكتب اليونانية التى اختصروها أو شرحوها ونقلوها، وكان يندر أن يقبل أحد منهم على الترجمة من تلقاء نفسه، بل لقد كان فى أكثر الأحيان يعمل بأمر خليفة أو أمير أو وزير أو أحد من أصحاب المال والنفوذ. وقد قاموا بترجمتهم تكسبا للمال، لا حبا للعلم، فهم مترجمون محترفون ونقلة مأجورين».

أتجه علماء العرب والمسلمين الى الترجمة والتأليف، وذلك ناتج عن تشجيع المأمون، الذى كان يتصف بالنبل والسخاء، فكان يبذل جهدا كبيرا لأقناع الناس بقراءة مايترجم وتعلمه، حتى أنه قيل أن حنين بن اسحق وأصحابه فى الترجمة عندما كانوا ينتهون من ترجمة كتاب كانوا يضعونه فى بيت الحكمة، فتبدأ فى الأسبوع الأول الملاحظات والتعاليق عليه من طرف كبار علماء العرب والمسلمين. ويمتدح عز الدين فراج فى كتابه (فضل

علماء المسلمين على الحضارة الأوربية) كلا من هارون الرشيد وأبنه المأمون بما قدماه من تشجيع للعلم بقوله«أما سياسة المأمون الحكيمة وتشجيعه الزائد نبغ العلماء والكتاب المسلمين، فى عصره وعصر أبيه، ومن هم مفخرة العالم الاسلامى وماقدموه من كتبهم وأبحاثهم. وظل المأمون ينهض بأمته، ويعمل على رفعة شأنها، وينشر العلم فى أنحائها، حتى وصل بها الى أسمى الغايات، وأحلها أعلى مكان».

كان حنين بن اسحق فى سن السابعة عشرة من عمره عندما أهانه استاذ الجيل فى الطب يوحنا بن ماسويه واتهمه بالقصور وعدم قدرته على استيعاب العلوم الطبية فلم يقلل هذا النقد الجارح من أستاذه من عزم حنين بن اسحق، ولم يؤثر فى روحه الوثابة، بل على العكس كان كلام يوحنا بن ماسويه هو المحرك الرئيسى الذى دفع حنينا الى السفر الى بلاد الروم والأسكندرية لتعلم اللغة اليونانية وغيرها من اللغات الحية حينذاك. وعندما عاد من رحلته العلمية لم يسعه الا أن يتتلمذ على شيخ الأطباء فى عصره يوحنا بن ماسويه. أما فى اللغة العربية فقد تتلمذ حنين بن اسحق على الخليل بن أحمد الفراهيدى، استاذ سيبويه والأصمعى، قطبى اللغة العربية. ان نضوج حنين بن اسحق العقلى هو السبب الوحيد الذى جعله رئيس المترجمين فى بيت الحكمة.

نعم كان حنين بن اسحق يطلب أجورا باهظة على مايترجمه من كتب، حتى أن الخليفة المأمون كان يدفع له زنة مايترجم ذهبا، وهذا ان دل على شيء فأنما يدل على عظمة المأمون واحترامه للعلم، حتى كان يتغاضى عما كان يفعله حنين بن اسحق من استعمال الورق ذى الوزن الثقيل، ومن تكبير الحروف، ومن جعل فراغات كبيرة بين الأسطر، كى يحصل على مكافأة أكثر. وهذا ولاشك جشع لايليق بعالم، ولقد أضر بحنين ابن اسحق كثيرا، حتى أن بعض المؤرخين يعتبرونه تاجرا محترفا، وليس عالما. فالصفة الحميدة التى يجب أن يتصف بها العالم هى أن يعمل للعلم، وليس للمادة. وبالمقارنة نرى أبا الريحان البيرونى عندما أرسل له السلطان مسعود الغزنوى ثلاثة جمال محملة بالفضة مكافأة له على الموسوعة التى كتبها تحت عنوان «القانون المسعودى» نراه يردها اليه قائلا: «انما يخدم العلم للعلم وليس للمال». والأمثلة كثيرة على ذلك، لأن علماء المسلمين اشتهروا بنزاهتهم وتفرغهم للعلم وليس للمادة، وهذه حقيقة واضحة وجلية بينهم، ولاتحتاج الى تقديم أمثلة، لكن ذلك لايعنى احتقار العلماء وأكل حقوقهم، والتضييق عليهم فى العيش، وفى المال الضرورى لابحاثهم، ولنشر انتاجهم..

المصادر والمراجع

(١) احمد شوكت الشطى، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه.
(٢) ابن أبى أصيبعة، عيون الانباء فى طبقات الأطباء.
(٣) ابن النديم، الفهرست.
(٤) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء.
(٥) توفيق الطويل، العرب والعلم فى عصر الاسلام الذهبى ودراسات علمية أخرى.
(٦) جلال مظهر، حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى.
(٧) جمال الدين أبو الحسن، تاريخ الحكماء.
(٨) جمهرة من المؤلفين، الموجز فى تاريخ الطب عن العرب.
(٩) رام لاندو، الاسلام والعرب.
(١٠) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى.
(١١) عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية.
(١٢) عمر رضا كحالة، العلوم العملية فى العصور الوسطى.
(١٣) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون.
تاريخ العلوم عند العرب.
(١٤) لوى برنارد، العرب فى التاريخ.
(١٥) ماكس مايرهوف، تراث الاسلام.
(١٦) محمد عبد الرحمن مرحبا، الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب.
(١٧) مصطفى الشكعة، معالم الحضار الاسلامية.
(١٨) ظهر الدين البيهقى، تاريخ حكماء الاسلام.

---

(١) العبادى: قبائل من بطون العرب، اجتمعوا وانفردوا عن الناس فى قصور ابتنوها لأنفسهم بالحيرة وتدينوا بدين النصرانية.

(٢) الخليل بن احمد الفراهيدى نحوى ولغوى، أصله من عمان، تتلمذ عليه سيبويه والاصمعى وغيرهما من أئمة اللغة العربية وهو واضع علم العروض، توفى فى البصرة سنة ١٧١ هجرية (٧٧٨ ميلادية).

(٣) يوحنا بن ماسويه نصرانى الملة من كبار اطباء مدرسة جنديسابور، عاش فيما بين ١٩٠–٢٤٣ هجرية (الموافق ٨٠٩–٨٥٧ ميلادية). كان طبيبا ذكيا مشهورا فى حقل الطب. هناك قصة لطيفة وردت فى كتاب (الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) لجمهرة من العرب نصها: «ان قسيس الكنيسة اشتكى اليه مرضا فى معدته، فقال له: استعمل كذا قال قد فعلت فوصف يوحنا له دواء اخر قال: أكلت منه أرطالا، فوصف ثالثا فقال القسيس شربت منه جرة. فقال له يوحنا أن أردت أن تبرأ فأسلم فان الاسلام يصلح المعدة». كان قريبا من الخلفاء والملوك، تتلمذ عليه من أطباء عصره. له مؤلفات كثيرة منها كتاب: التمام والكمال، وكتاب الحميات، وكتاب

الأغذية، وكتاب الفصد والحجامة، وكتاب الأدوية المسهلة، وكتاب علاج النساء، وكتاب التشريح، وكتاب جامع الطب، وضعه الرشيد أمينا على ترجمة الكتب الطبية. وخدم يوحنا بن ماسويه كلا من الرشيد والأمين والمأمون ومن جاء بعدهم من خلفاء بنى العباس الى أيام المتوكل.

(٤) جبرائيل بن بختيشوع أتى من أسرة نصرانية لها مكانتها فى حقل الطب، فكان من أشهرهم، وجعله الرشيد رئيس جميع الأطباء، لذا نجد أن له مكانة مرموقة عند خلفاء بنى العباس. كان طبيبا للأمين والمأمون، ومات سنة ٢١٣ هجرية (٨٣٠ ميلادية) وذلك خلال خلافة الأمين. ورد فى كتاب (الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) لجمهرة من العرب مانصه: «ولقد كان من تقاليد المهنة الطبية منذ نشأتها توارث هذه المهنة أبا عن جد، مثلها مثل كثير من المهن والصناعات، ولقد استمر هذا التقليد خلال عصور الطب العربى المختلفة حيث امتازت بعض الأسر بتوارث هذا الطب، ولعل أشهر هؤلاء اسرة بختيشوع التى مارست الطب فى ظل الدولة الاسلامية أجيالا متعاقبة أثناء الخلافة العباسية، ومنهم أيضا أسرة آل زهر التى توارثت الطب فى الأندلس».

(٥) حبيش بن الأعسم من كبار المترجمين، تفنن بالترجمة على يد خاله حنين بن اسحق. عاش فى أيام المتوكل ويعد من علماء الطب فى القرن التاسع الميلادى. وله مؤلفات كثيرة منها كتاب الأدوية المفردة، وكتاب الاغذية وكتاب فى الاستسقاء، وكتاب يسلك مسلك حنين فى نقله وفى كلامه وفى احواله، وكتاب المياه لبقراط، وكتاب الفواكه لجالينوس. وله أقوال مأثورة منها : الكذب رأس كل بلية، من ترك الحقد أدرك معالى الأمور، قد يكون القريب بعيدا بعداوته والبعيد قريبا بمودته.